وعندما اصبح عمري اثني عشرة سنة انتقلت مع العائلة الى القدس · المسافة بين بيت لحم والقدس هي ثمانية كيلومترات فقط ، لكنني اذكر عندما رحلنا من بيت لحم الى القدس ، احسست انني رحلت من عالم الى عالم · طفولتي في بيت لحم هي الاساس ، عشقي للقدس جاء لاحقا لبيت لحم · اول ما فتحت عيني فتحتهما على طرق ضيقة مرصوفة بالحجارة وفوقها عقود واقواس · فتحت عيني على حواكير فيها انواع الحيوانات والاشجار ، كنا عائلة مؤلفة من انفس كثيرة تعيش في غرفة ضيقة فيها شباك واحد ، وفيما بعد ، تنقلنا من منزل الى آخر ، وبقي بيتنا غرفة واحدة فيها شباك على الاكثر وامام الشباك عتبة ، اصبحت فيما بعد طاولتي ومكتبتي · بيت لحم كانت بالنسبة لي مدينة المسيح ايضا ، فأوجد ذلك صلة حية بيني وبينه · فانانشأت في الحقيقة في مدرسة طائفية ندرس فيها التعاليم الدينية ، ونخدم القداس نهار الاحد ، وفي تلك السن المبكرة اذكر ان صوتي كان يعتبر جميلا كصوت اي طفل ، لذلك كنا انا واطفال آخرون مثلي ، ملزمين بأن نكون اول من يذهب الى الكنيسة صباح الاحد لنؤدي تراتيل القداس · وكان ابي شديد الايمان · وكان على اميته ، يشعر ان ثقافته مستمدة من اللحظات التي يقضيها في الكنيسة · تحدثت عن ابي سابقا ، كيف كان ينهض في الرابعة من صباح يوم الاحد ويذهب الى منزل الكاهن ليوقظه من نومه ، وكنت اذهب معه احيانا الى بيت الكاهن الكهل لكي احمل ثياب الكهنوت عنه الى الكنيسة·· كان المسيح مهما وحقيقيا ورائعا ، كان يخفف عنا كثيرا · لم اشعر قط ان للفقر قدرة او قوة تمنعني من تذوق الحياة والتمتع بها ·

اذكر اننا سكنا منزلا آخر مؤلفا من غرفة واحدة ايضا ، وامامه ارض فسيحة وراءها حواكير ووديان تطل على الافق البعيد ، وكلها تدعوني اليها · كنت اركض في الوديان ، افتش عن الحلزون ، اذهب الى المغاور استكشف اعماقها الرطبة المظلمة · وفي البيت ، لكي اكون وحدي ، كثيرا ما كنت ادرس فوق شجرة توت في الحاكورة · كان لي الكثير من الاصدقاء في مثل سني ، كنا دائما في لعب مشترك وقراءة مستمرة · ومن اوائل الكتابات التي كتبتها تلقائيا آنئذ في بيت لحم ، مسرحية حاولنا تمثيلها نحن الاطفال · كنا دائما نحاول ان نمثل، نجتمع في الحاكورة ونقرر أن «نمثل» ! كان هذا منتأثير وجود مسرحيين في بيت لحم ، الاول تابع لدير الفرنسيسكان والثاني للسالسيان ، وفي هذا الاخير كانت هناك فرقة مسرحية تمثل احيانا بالعربية واحيانا بالايطالية · قبل ان ابلغ التاسعة او العاشرة ، كنت اشاهد المسرحيات بكثرة ، فدخلت فكرة الحوار وفكرة الصراع في اذهاننا ونحن في هذه السن المبكرة ، وربما كان لهذا صلة بعشقي للحوار الذي اكتبه بكثرة في رواياتي · رحلنا الى القدس وكانت تجربة اخرى في حياتنا · كانت القدس مدينة اكبر نسبيا · سكنا في منزل مؤلف من غرفة واحدة ايضا ، لكن منزلنا لم يكن محاطا بالحواكير ، وانما بغرف اخرى تسكنها عائلات فقيرة مثلنا · عشنا في حي يعج بالناس ، لكنني لم اتمرمر من الفقر · كانت الكتب تنقلني الى عالم آخر لاصلة له بالفقر وبهذا الصراع اليومي على الاشياء التافهة · وفي القدس كنت على صلة بعالم العمل ، عالم النجارين والحدادين والحجارين ، نجتمع في الحوش او في منزلنا ، والحديث يدور عن العمل وصعوباته · كانت تجربة الحياة هنا اكثر قساوة من قبل بكثير · ولقد ذكرت اشياء منهذه الحياة في قصتي القصيرة «الغراموفون» وفيروايتي «السفينة» ·· علىمقربة من بيتنا كان هناك سوق الحيوانات يقام يوم الجمعة ويأتي القرويون بحيواناتهم واغنامهم لبيعها ، واجلس في ركن جانبي منه وارسم الحيوانات والناس · اما المكان الذي سكناه ،